مـــجـــلـــة دراســـات بيت الـــمـــقـــدس، 2021، 21(1): 91–110
DOI: 10.31456/beytulmakdis.832114

تسليم بيت المقدس للسلطان صلاح الدين الأيوبي سنة 583هـ/1187م هل كان صلحًا أم عنوة وتداعيات ذلك

خالد العويسي*

ملخص: لفتوح البلدان أحكام خاصة تتعلق بطريقة تعامل المسلمون مع هذه المدن والبلدان، فإذا فتحت المدينة صلحا يختلف التعامل معها عما إذا فتحت عنوة. فَفَتْحُ عمر بن الخطاب لبيت المقدس كان صلحا وأعطى لأهلها أمنا على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم، وكان هذا حال البلاد المفتوحة صلحا. أما المدن التي فتحت عنوة وصلحا في آن واحد كدمشق فَنِصفُها أخذ حكم الصلح والنصف الآخر له حكم العنوة، فيحق للمسلمين أخذ كل ما في ذلك الجزء ونقل ملكية كل ما فيه ليد المسلمين بما فيها من كنائس وغيرها. وفي ما فُتح عنوة فإما أن يقسم بين الغانمين فيصير ملكا لهم وإما أن يتوقف على المسلمين. وفي فتح صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس عدد من الأسئلة: هل كان الفتح عنوة أم صلحا؟؛ حيث إن صلاح الدين قام بتحويل استخدام بعض الكنائس والمرافق وترك بعضها و لم يغيرها. تناقش هذه المقال كيف تم تسليم بيت المقدس لصلاح الدين؟ حيث إنه أقسم أن لا يفتحها إلا عنوة بعد أن عرض الصلح على أهلها عدة مرات قبل محاصرتها. وتناقش المقالة تداعيات ذلك من حيث شروط التسليم والتغييرات التي قام بها صلاح الدين على الأرض بعد الفتح.

الكلمات المفتاحية: الفتح عنوة، الفتح صلحا، الكنائس، المسجد الأقصى، صلاح الدين، الصليبين، كنيسة القيامة، آيا صوفيا.

The Surrender of Bayt al-Maqdis to Salah al-Din through Sulh (treaty) or 'Unwah (by force) and its implications

ABSTRACT: *The conquest of cities and regions in Islam involve special provisions related to the way Muslims deal with these cities and countries. For example, if a city is taken peacefully, or by Sulh, dealing with it differs from if it had been taken by force. Accordingly, when Umar ibn al-Khattab conquered Bayt al-Maqdis through peaceful surrender he gave its people an assurance of safety, giving them Aman over their lives, possessions, churches; this was the case for all cities taken in this way. As for the cities that were conquered both by force, or 'Unwah, and also through Sulh at the same time, such as Damascus, then the half that was taken peacefully had the rule of peace, and the other half had the rule of force. Thus, the Muslims had the right to take everything in the latter and transfer the ownership of everything in it to the Muslims, including churches and other possessions. It became established that with regards to what was conquered by force, the possessions were either divided as spoils of war, or regarded as Waqf by the*

* أستاذ مشارك في التاريخ الإسلامي بجامعة أنقرة للعلوم الإجتماعية، أنقرة/ تركيا، khalid.elawaisi@asbu.edu.tr

Muslims. In Salah al-Din's conquest of Bayt al-Maqdis, a number of questions were raised, including whether the conquest was by force or by peace, given that Salah al-Din transferred the use of some churches and facilities yet left other churches and did not change them. This article discusses how Bayt al-Maqdis was handed over to Salah al-Din, as he swore that he would only conquer it by force after he offered peace to its inhabitants several times before besieging it. The article also discusses the implications of this in terms of the handing-over terms and the changes that Salah al-Din made on the ground after liberating the city.

KEYWORDS: *Conquest by force, Peaceful conquest, churches, Al-Aqsa Mosque, Salah al-Din, Crusaders, Holy Sepulchre, Hagia Sophia.*

مقدّمة

كانت ضوابط الحروب واخلاقياتها قبل انتشار البعثة المحمدية تقريبا معدومة، فلم تكن هناك مراعاة لحقوق البشر ولا لممتلكاتهم. وقد أشار القرآن إلى الحروب في بداية البعثة المحمدية كحرب الروم مع الفرس (سورة الروم: 1-5)، بالإضافة إلى الاضطهاد والقتل الديني كما في سورة البروج. ومع بدء الفتوحات في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، تم تطوير منظومة أخلاقية للتعامل مع العدو، مبنية تحرم قتال غير المقاتلين. ومع توسع رقعة الفتوحات إلى بلاد فارس والروم طور المسلمون منظومة متكاملة لها أركان ثلاث: يعرضوا على أهل المدن ابتداء الإسلام ومن ثم التسليم صلحا، فإن أبوا تكن الحرب. ولكل من هذه خصوصياتها، فإن أسلموا بقي كل شيء على ما هو، كما فعل رسول الله مع صاحب إقليم البحرين (الممتد من من البصرة إلى عُمان)، المنذر بن ساوى. وإن صالحوا المسلمين يكن لهم جوار المسلمين ودفع الجزية كما فعل رسول الله مع أهل نجران. وإن أبوا إلا القتال غَنِم المسلمون كل ما لهم كما كان الحال مع خيبر. هذه الأمثلة من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأسس القرآنية كانت هي الأساس لتعامل المسلمين مع غيرهم خلال الحروب. ونرى في تاريخ المسلمين منذ عهد الخلفاء الراشدين وعلى مدى العصور، كيف تعامل المسلمون مع هذه المسائل وطبقوها خلال فتحهم للبلاد.

وقد أثيرت مسألة تحويل الكنائس إلى مساجد حديثا بعد اعادة آيا صوفيا إلى جامع بعد أن كان متحفا لما يقارب 86 سنة، وإعادته إلى طبيعته التي كان عليها طيلة ما يقارب خمس قرون بعد فتح القسطنطينية عنوة عام 1453م. وقد تم ذلك عدة مرات في تاريخ المسلمين ضمن ضوابط فقهية ابتداء من الجامع الكبير (الأموي) في دمشق بعد أن حول الصحابة نصفه إلى مسجد.بما أن نصف المدينة فتحت عنوة. وقد حول صلاح الدين بعد الفتح عدد من الأبنية التي كانت تستخدم ككنائس في بيت المقدس إلى مساجد ومدارس ومستشفيات، وترك أعظم كنيسة عند النصارى على حالها. سيلقي هذا المقال الضوء على ما إن كانت مدينة بيت المقدس فتحت صلحا أم عنوة على يد صلاح الدين الأيوبي وتداعيات

ذلك في التغيرات التي قام بها في المدينة المقدسة، من خلال رصد ذلك في كتب التاريخ والتراث الإسلامي، مع الإشارة إلى ضوابط هذا الأمر في الفقه الإسلامي، وما تميز به عدل المسلمين عن غيرهم من الأمم وقبولهم للتعايش مع الآخر.

الفتح صلحا وعنوة

عادة ما يعرض الفاتح المسلم على أهل البلاد الإسلام ابتداء، فلم يخرج الصحابة من بلاد الجزيرة العربية إلا من أجل ازالة الحواجز التي تمنع الناس من الدخول في الدين الحنيف. فكان جهاد الطلب، كما يسميه الفقهاء، من أجل تمكين الجماهير غير المسلمة من أن تستمع وتُبلغ دعوة الله وتحررها من نير التسلط والجبروت[1] ولم يجبر المسلمون أحد أو يكره على الدخول في دين الإسلام، فهو الأساس القرآني، بل عرضوا الإسلام عليهم، فأسلم من أسلم وأبى من أبى وبقي على دينه. وقد أقر رسول الله ذلك لملك البحرين المنذر بن ساوى الذي أسلم وأسلم جزء من قومة وبقي بعضهم على دينه النصرانية أو المجوسية. وكذلك نصارى نجران الذين أسلم جزء منهم وبقي الجزء الآخر على دينهم، بل وأمنهم رسول الله على كنائسهم. ولم يقم المسلمون في فتوحاتهم عبر العصور بأي قتل عام لسكان المدن أو ما يسمى حديثا بالإبادة الجماعية في أي مكان فتحوه، عكس ما كان يحدث في كثير من غزو الأمم الأخرى. بل وحدث ذلك في عصور لاحقة كالاحتلال الصليبي وكالذي حدث في الأندلس من تطهير ديني وعرقي بل وتحويل المساجد إلى كنائس كمسجد قرطبة الكبير، ثاني أكبر مسجد في الإسلام في ذلك الوقت.

وقد فصل الإسلام في أحكام وضوابط وقواعد علاقة المسلمين بغيرهم في السلم وقبل الحرب وبعدها والذي تكوَّن منه، كما يذكر العقاد، قانون دولي رصين يحكم القوي والضعيف قبل أن يعرف العالم شيئًا عن القانون الدولي. ويسرد العقاد كيف أن العلاقة بين الأمم كانت في حالة فوضى وكانت شريعة السيف لـــمَن يملكه إذا غلب ولـــمَن يخضع له إذا حقَّت عليه الغلبة.[2] لكن مع انتشار البعثة المحمدية تطور نظام جديد وضع معالم لقانون إسلامي عالمي لم تتدارك رِكابه بقية الأمم إلا بعدها بقرون بل بأكثر من ألف عام. وخصوصا في القرن العشرين مع بلورة اتفاقية جنيف الرابعة والتي تحدد الحماية الإنسانية للمدنيين وقت الحرب، والتي قد كان رسول الله سباقاً لها من خلال منع التعرض للمدنيين بأي حال، بل وتعدى ذلك لمنع الاضرار بالبيئة؛ حيث روي عن رسول الله في عدد من الروايات نهيه الصريح عن قتل الأطفال والنساء والشيوخ، بالاضافة الى بعض الروايات التي نهت عن قطع الأشجار، وقد أوصى بمثل ذلك خلفائه حين أرسلوا جيوشهم إلى بلاد الشام والبلاد الأخرى، بل وأكدوا على عدم قتل إلا المقاتلين في المعركة.[3] ومع القوانين الدولية الحديثة ما زالت الدول "العظمى"

لا تعمل بهذه القوانين بل وتتجاوز ذلك بقتل النساء والأطفال والشيوخ وتحرق المدن كاملة كما حدث في هيروشيما وأفغانستان والعراق.[4]

وقد جعلت شريعة الإسلام عرض الإسلام على الناس هدفا عالميا وجعل الخطاب بهذا الدين للبشرية جمعاء؛ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾(سورة الأعراف:158) و ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(سورة سبأ:28). وجعلت من إزاحة العوائق التي تقف أمام المسلمين وسيلة لكي تصل رسالة هذا الدين؛ ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾(سورة الأنفال:39)، وفي آية أخرى ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾(سورة التوبة:29). وهذا مع ضمان حرية الدين والاعتقاد؛ ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(سورة الكهف:29)، و﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾(سورة البقرة:256). وهذا جزء من سنن الله في الأرض كَسُنة التداول وسُنة التدافع ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(سورة الحج:40)، والتي بها حماية لمقدسات المسلمين وغيرهم من اتباع الأديان عموما.

وقد بدأ رسول الله بدعوة الأمم إلى الإسلام من خلال دعوة حكامها ابتداء، فبدأ بمكة ثم توسع منها كما في الآية ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾(سورة الشورى:7). فبعد تحييد جبهة مشركي قريش، الذي دعاهم للإسلام لأكثر من عقد من الزمن، وبعد صلح الحديبية واستقرار الحال في جزيرة العرب أرسل رسول الله الرسائل لملوك فارس وبيزنطة وحكام مصر والبحرين واليمن وغيرها من البلاد. وجعل أجر وإثم أتباعهم عليهم، فأسلمت اليمن والبحرين وعُمان وتراوحت إجابات الباقي بين العداوة والصداقة. وأرسل رسول الله بعد ذلك الجيوش إلى تخوم بلاد الشام، بعد أن عرض على هرقل الإسلام فلم يجبه وكانت هذه بمثابة أول خطوة عسكرية نبوية خارج حدود جزيرة العرب. ومع أن المؤرخين لم يقدموا سببا واضحا لهذه الغزوة وربطها الواقدي بقتل سفير رسول الله قبلها بسنتين، وتبنى هذه الرواية أغلب من كتب في السيرة بعد ذلك، لكن لم يكن يحتاج رسول الله للانتقام لمقتل السفير، بل كانت جزءا من خطة رسول الله لفتح بيت المقدس وبداية الفتوح العالمية.[5] ومع بداية فتوح بيت المقدس والشام، وخروج الصحابة خارج حدود جزيرة العرب، بدأت تتبلور منظومة فتح البلاد صلحا وعنوة، وتبعاتها العملية والفقهية.

بالتزامن مع فتوح الشام بدأت أيضا فتوح العراق في زمن الخليفة أبوبكر الصديق وكانت في نفس الإطار العملي الذي بدأه رسول الله وسار عليه أبو بكر الصديق. فكان هناك تحريم للتعرض للمدنيين

من نساء وأطفال وشيوخ وعدم الاضرار بالبيئة من قطع الشجر وإهلاك الحرث. وقبل أن يهاجم المسلمون أي مدينة كانوا يعرضوا على أهلها الإسلام، فإن أبوا فالجزية، وإن أبوا كانت الحرب الخيار الأخير. ونرى ذلك جليا في لقاء ربعي بن عامر بقائد الفرس رستم سائلا ما جاء بكم؟ فأجابه: "لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه... فانظر في أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل، اختر الإسلام وندعك وأرضك، أو الجزاء، فنقبل ونكف عنك... أو المنابذة".[6] وفي العادة كانت الحروب الكبيرة خارج المدن مع الجيوش النظامية، وكان يتلوها في العادة تسليم المدن صلحا. فأغلب أرض العراق فتحت عنوة، وتسمى في المصادر المبكرة بأرض السواد، وهي الأراضي المغنومة من الفرس، وضرب عمر بن الخطاب الخراج عليها للغانمين ولمن جاء بعدهم من المسلمين. وكذلك في فتح عمرو بن العاص مصر، فقد افتتح أرضها عنوة ووضع عليها الخراج وافتتح مدنها صلحا ووضع الجزية على أهلها.[7] والأمر كذلك في بلاد الشام فيذكر أبو عبيد أن "أرض الشام كلها عنوة، إلا المدن خاصة، فإنها صلح كلها".[8]

وقد فصل أبوعبيد القاسم بن سلام في كتابه الأموال تحت باب "فتوح الأرضين وسننها وأحكامها" سنة الرسول وخلفائه في فتوح البلدان فقال: "وَجَدْنَا الْآثَارَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْخُلَفَاءِ بَعْدَهُ قَدْ جَاءَتْ فِي افْتِتَاحِ الْأَرَضِينَ بِثَلَاثَةِ أَحْكَامٍ: **أَرْضٌ أَسْلَمَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا** فَهِيَ لَهُمْ مِلْكُ أَيْمَانِهِمْ، وَهِيَ أَرْضُ عُشْرٍ، لَا شَيْءَ عَلَيْهِمْ فِيهَا غَيْرُهُ، **وَأَرْضٌ افْتُتِحَتْ صُلْحًا** عَلَى خَرْجٍ مَعْلُومٍ، فَهُمْ عَلَى مَا صُولِحُوا عَلَيْهِ، لَا يَلْزَمُهُمْ أَكْثَرُ مِنْهُ، **وَأَرْضٌ أُخِذَتْ عَنْوَةً**...".[9] أما الأولى فقد فصل أبو عبيد أن "السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه من أسلم على شيء فهو له"،[10] وأن "كل أرض أسلم عليها أهلها، فهم مالكون لرقابها، كالمدينة، والطائف، واليمن، والبحرين"،[11] فتترك كما هي وتبقى ملكيتها لأهلها. أما الثانية وهي "أرض صلح مثل نجران، وأيلة، وأذرح، ودومة الجندل، وفدك، وما أشبهها مما صالحهم صلى الله عليه وسلم صلحا، أو فعلته الأئمة بعده كبلاد الجزيرة، [ومدن الشام] وبعض بلاد إرمينية، وكثير من كور خراسان"[12] فتبقى بيد أصحابها على أن يدفعوا الجزية ولا يجوز للمسلمين أخذ أكثر مما صالحوهم عليه حيث "أن السنة في أرض الصلح أن لا يزاد على وظيفتها التي صولحوا، وإن قووا على أكثر من ذلك".[13] بل ولهم ذمة الله وذمة رسوله على أموالهم وأنفسهم وكنائسهم وبيعهم كما في كتاب رسول الله لأهل نجران. أما الثالثة "فتح الأرض تؤخذ عنوة، وهي من الفيء والغنيمة جميعا"،[14] واختلف المسلمون في تقسيمها، فبعضهم يرى أن تقسم كالغنائم، فتخمس وتقسم وبعضهم يترك الأمر

للإمام إن رأى أن يجعلها غنيمة، فيخمسها ويقسمها وإن رأى أن يجعلها فيئا فلا يخمسها ولا يقسمها، ولكن تكون موقوفة على المسلمين عامة. واستدلوا على ذلك بفعل النبي في خيبر حيث افتتحها عنوة بعد القتال، فخمسها وقسمها بين المسلمين ومن ثم لم يكن ما يكفي من العمال فجعل اليهود يعملون بها على نصف ما خرج منها.[15]

من هذا يبدوا جليلا وجود هذه التقسيمات من زمن رسول الله وأن خلفاءه ساروا على نفس هذا النهج في فتح البلاد. فالمدن التي فتحت صلحا كان لأهلها الأمان وذمة المسلمين إذا ما أدوا ما عليهم. وأما المدن التي فتحت عنوة فتكون خالصة للمسلمين ويجوز للإمام استخدام أهلها إن شاء في تشغيل أرضها. وأفضل مثال لما فتح صلحا بعد رسول الله كانت مدينة إيلياء (بيت المقدس) التي أعطى عمر بن الخطاب أهلها ما أضحى يسمى بالعهدة العمرية والتي آمنهم فيها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم. وقد نرى فارقا كبيرا بين فتح المسلمين لبيت المقدس سنة 16هـ/637م والاحتلال الفارسي قبلها بعقدين من الزمن سنة 614م والتي تذكر الروايات التاريخية وتثبت الحفريات الأثرية تدميرهم للمدينة وكنائسها. على عكس فتح المسلمين الذي يشبهه الأثريين بـ"الفتح الخفي"[16] لعدم وجود أي حالات هدم أو تخريب، وهذا ما يتماشى مع الرواية الاسلامية حول طبيعة الفتوح. بل ويناقش الفقهاء كيفية بناء المسجد الأقصى في مدينة إيلياء وهل يجوز ذلك بما أن المدينة أخذت صلحا. فيذكر أبو عبيد بأن أهل الصلح يتركون على ما كانوا عليه قبل ذلك من أمورهم، إلا إذا كان شيء للمسلمين فيه وهم أولى به مثل الذي فعل عمر بن الخطاب بمسجد بيت المقدس. مع هذا يذكر روايتان بأن المسجد الأقصى كان مزبلة عظيمة للروم وأن عمر حال بين أهل الذمة وبين الأقصى لأنه ليس من حقوقهم. والرواية الأخرى بأن الفتح كان على "أن يكون لهم ما أحاط به حصنها، على شيء يؤدونه، ويكون للمسلمين ما كان خارجا منها".[17] وهذه الرواية تتماشى مع الحفريات الأثرية التي أظهرت بأن المسجد الأقصى كان خارج حدود مدينة إيلياء المسورة كما توصل لذلك المعماري الأثري هيثم الرطروط.[18] وبذلك لم يبني المسلمون شيء داخل أسوار مدينة إيلياء ولا في حاراتها المسيحية إلى الحروب الصليبية كم تحاجج المؤرخة الانجليزية كارين آرمسترونج.

الفتح الصلاحي

كان فتح صلاح الدين لبيت المقدس نقطة فارقة في تاريخ المنطقة كما كان الفتح الأول. بل واستلهم صلاح الدين في كثير من أفعاله النموذج الأول للفتح. فقد كان فتحه، كما كان فتح عمر، ثمرة لجهود من سبقه من القادة والعلماء. فلم يكن صلاح الدين أول من سار على درب تحرير بيت المقدس، فقد كان لأستاذه السلطان نور الدين محمود زنكي ووالده عماد الدين الفضل في رسم خطة استراتيجية

للفتح، سيرا على ما بدئه العلماء كالإمام الهروي والسلمي وغيرهم.[19] فاحتلال بيت المقدس كان له وقع وتأثير كبير على المسلمين. وقد عمل صلاح الدين بجانب إعادة ربط المسلمين بقضية بيت المقدس على توحيد المسلمين حول هذه القضية تحت راية واحدة ابتداء بمصر واليمن ومن ثم بلاد الشام والجزيرة الفراتية، قبل الانتقال لقتال الفرنجة. وقد كان النصر في حطين بداية نهاية الوجود الصليبي ومهدت الطريق لفتح بيت المقدس. لكن بعد معركة حطين في 4 تموز 1187م لم يتحرك صلاح الدين بجيشه مباشرة لبيت المقدس بل سار بالاتجاه المعاكس باتجاه المدن الساحلية التي كان الصليبيون يحتلونها. ففتح عكا وبيروت ومن ثم سار باتجاه عسقلان وبعد فتحها توجه لفتح مدينة بيت المقدس. لكن قبل ذلك أرسل الرسائل لأهلها للتسليم صلحا، بل وعرض عليهم البقاء في المدينة فترة من الزمن، فرفضوا عروضه كلها حتى وصل اليها بجنده وحاصرها.

مفاوضات التسليم

قبل مفاوضات التسليم النهائية سبق ذلك، كما يذكر ماهر أبو منشار، عدة محاولات لتسليم المدينة.[20] الأولى يذكرها أبو شامة نقلا عن ابن القادسي من نسخة رسالة كتبها صلاح الدين إلى بعض أهله يذكر فيه ما تم له من الفتح بعد حطين وفتحه لعسقلان؛ "ونازلنا عسقلان ... فافتتحناها سلما... وفتحت هونين بالسيف وتبنين بالسيف وإسكندرونة بالسيف".[21] وهنا يظهر تفريق صلاح الدين بين ما فتحا صلحا (بالسلم) وما فتح عنوة (بالسيف)، وهذا يظهر إلمامه بمسألة الفتح صلحا وعنوة والفرق بينهما. ويكمل أبو شامة بذكره لرسائل صلاح الدين وأن المحاولة الأولى لمفاوضات تسليم بيت المقدس كانت وصلاح الدين محاصر لمدينة صور التي لم يتمكن من فتحها، فيقول: "نزلوا على صور وكاتبهم ملك بيت المقدس يطلب الأمان فقال له صلاح الدين أنا أجيء إليكم"، رغم أنه ليس هناك أي تفصيل في المسألة وملك بيت المقدس گي دي لوزينيان كان قد وقع في الأسر في معركة حطين، وقد أخذ إلى دمشق مع عدد من الأسرى. فكيف له أن يكاتب صلاح الدين لطلب الأمان، يبدوا أن هناك لبس في المسألة. لكن هناك قصة مشابه لتسليم مدينة جبيل حيث كان أميرها في الأسر مع ملك بيت المقدس في دمشق وبعد تفاوضه مع آسريه أُتي به فسلمها بشرط سلامته.[22] وقد استفاد صلاح الدين من ملك القدس في تسليم عسقلان، لكن لا يبدوا واضحا محاولة طلبه الأمان لتسليم بيت المقدس. فقد تم إحضار ملك الفرنج في قيده وشرط معه واستوثق منه أن يتم إطلاق سراحه إذا أعان صلاح الدين على فتح بقية البلاد كما يذكر العماد الأصبهاني، وراسل الملك المأسور أهل عسقلان للتسليم وسلموا بعد مشاورتهم معه.[23] لكن نص ابن القادسي على لسان صلاح الدين يبدوا محيرا، إلا إذا فهم أن المقصود ليس الملك گي دي لوزينيان، بل من بيده حكم المدينة كما تحاجج هادية دجاني-شكيل، وإذا ما كان

هذا التحليل صحيح فالإشارة إلى بطريرك المدينة هريكليوس، الذي تشير إليه المصادر بأنه بمثابة الملك عندهم، ويذكر ذلك ابن الأثير "وكان به البطرك المعظم عندهم، وهو أعظم شأنا من ملكهم، وبه أيضا باليان بن بيرزان، صاحب الرملة، وكانت مرتبته عندهم تقارب مرتبة الملك".[24] فمن هذا يبدوا أن الأمر كان مع أهل المدينة وليس الملك المأسور، لأن صلاح الدين أشار بأنه سيأتيهم، ولو كان الملك المأسور لأتى به إليه كما فعل بعد ذلك. وتكمل الرواية بأنهم حذروا صلاح الدين من أنه سيفقد إحدى عيناه إذا سار إلى بيت المقدس، فأجاب "رضيت بأن أعمى وآخذ البلد".[25] وقد ذكر ذلك الأنصاري بأن المنجمون كانوا قد أخبروا صلاح الدين بفقدان عينه فقال "رضيت أن افتحه وأعمى".[26]

أما المحاولة الثانية للتفاوض ذكرها المستشرق البريطاني ستانلى لين بول نقلا عن المؤرخ الصليبي إرنول (Ernoul)، الذي كان في مدينة بيت المقدس أثناء حصار صلاح الدين. وقد قدمت هذه الرواية تفاصيل لم تذكر في المصادر الإسلامية وهي أنه عند فتح المسلمين عسقلان توجه وفد من الصليبيين لإيجاد حل سلمي للمدينة المقدسة بناء على طلب صلاح الدين. وفي يوم الاجتماع كان هناك كسوف جزئي للشمس اعتبره المندوبون الصليبيون نذير شؤم. وقد عرض عليهم صلاح الدين أنه لا يريد محاصرة المدينة لقدسيتها، وقال لهم كما تذكر الرواية الصليبية "أن القدس بيت الله، كما تؤمنون أيضا، ولن أحاصر برضاي مدينة الله أو أعرضها للهجوم" ولكي يحصل عليها "بالسلام والود" عرض عليهم بقاء المدينة وما حولها معهم لفترة من الزمن (لعيد العنصرة/ الخمسين) ومن ثم يسلموها إذا لم يأتيهم المدد وانقطع عنهم أي أمل بالنجدة، مع ضمان سلامتهم مع ممتلكاتهم المنقولة إلى أراض تحت الحكم المسيحي. لكن مندوبي المدينة رفضوا هذا العرض وشددوا أنهم لن يسلموا المدينة –التي مات بها المسيح المخلص من أجلهم– فأقسم صلاح الدين أن يأخذ المدينة بالسيف.[27] ويشير الكاتب الأصفهاني إلى تمسكهم بالمدينة وعدم قبولهم بالتسليم وأنهم لن يتخلوا عن كنيسة القيامة حيث أن "فيها صلب المسيح، وقرب الذبيح، وتجسد اللاهوت، وتأله الناسوت...[و]قالوا: دون مقبرة ربنا نموت، وعلى خوف فوقها منا نفوت، وعنها ندافع، وعليها نقارع". كما وذكر استماتة المسلمين بفتح بيت المقدس والمسجد الأقصى، وذكر قسم السلطان صلاح الدين أنه لن يعود حتى يفتحها قائلا: "واقسم لا يبرح حتى يبر قسمه، ويرفع بأعلاه علمه، وتخطوا إلى زيارة موضع القدم النبوية قدمه. ويصغي إلى صرخة الصخرة".[28]

المحاولة الثالثة يذكرها المؤرخ البريطاني رانسيمان، وكذلك لين بول، حيث ذكروا قدوم باليان من صور وطلبه من صلاح الدين الإذن له بدخول بيت المقدس لإخراج زوجته الملكة ماريا وأولاده من المدينة المحاصرة، فأذن له صلاح الدين بالبقاء ليلة واحدة وبدون حمل السلاح مرة أخرى ضد المسلمين. لكنه حال وصوله للمدينة آثر البقاء بعد إصرار البطريرك عليه، فكتب إلى صلاح الدين معتذرا ومن ثم

قاد المقاومة ضد المسلمين.[29] وكان هو من تفاوض مع صلاح الدين على شروط تسليم المدينة بعد ذلك. ويذكر أبومنشار محاولة أخرى نقلا عن العماد الأصفهاني حول عرض صلاح الدين على الملك المأسور گي دي لوزينيان أن يساعده في تسليم المدن على أن يتم إطلاق سراحه.[30]

ويبدوا جليلا من المصادر المسلمة والمسيحية أن محاولات تسليم المدينة المقدسة قبل حصار صلاح الدين لها لم تكلل بالنجاح، رغم عروض صلاح الدين لاستلامها بدون قتال وبقائها معهم لأكثر من ستة أشهر، لعلمه بعدم استطاعتهم الدفاع عنها بعد كسر شوكتهم في حطين. وبعد رفضهم لهذه العروض تراجع صلاح الدين عن الأمر وأقسم على استرجاعها عنوة. فحاصر المدينة حصارا شديدا بل وطاف بنفسه خمسة أيام لاختيار أضعف نقطة في أسوار المدينة لاجتياحها واستقر في المنطقة الشمالية. واستمات كلا الطرفين في محاولاتهم وقاتلوا أشد قتال. ويروي ابن الاثير أن المسلمين استشهد من أكابر أمرائهم الأمير عز الدين عيسى بن مالك، في قتالهم خيالة الفرنجة ظاهر البلد وعدد آخر من المسلمين، وعظم الأمر على المسلمين فحملوا حملة رجل واحد ووصلوا إلى السور فنقبوه ووقع جزء من السور. فلما رأى الفرنج شدة قتال المسلمين وما وصلوا اليه وأيقنوا أنهم قد أشرفوا على الهلاك، اجتمع رؤسائهم يتشاورون، فاتفقوا على طلب الأمان من المسلمين وتسليم البيت المقدس إلى صلاح الدين. فأرسلوا وفدا من أعيانهم لطلب الأمان، "فلما ذكروا ذلك للسلطان امتنع من إجابتهم وقال: لا أفعل بكم إلا كما فعلتم بأهله حين ملكتموه سنة إحدى وتسعين وأربعمائة من القتل والسبي وجزاء السيئة بمثلها".[31] ويذكر مثل ذلك أبو شامة أنهم خرجوا للسلطان فلم يجبهم للأمان، "فأبى السلطان إلا قتالهم وتدميرهم واستئصالهم وقال ما آخذ القدس إلا كما أخذوه من المسلمين منذ إحدى وتسعين سنة فإنهم استباحوا القتل و لم يتركوا طرفا يستزير سنة فأنا أفني رجالهم قتلا وأحوي نسائهم سبيا".[32]

ومن هذا يبدوا واضحا أن صلاح الدين كان قد عزم أن لا يأخذها إلا عنوة بالسيف إبرارا بقسمه بعد أن عرض عليهم الصلح مرات عدة. وأنهم حين أيقنوا من الهلاك وبعد استشهاد من استشهد من المسلمين عرفوا أنهم لن يستطيعوا إيقاف الجيش الإسلامي من فتح المدينة ولن يأتيهم مدد من أحد حينها طلبوا الصلح. وفي محاولة ثانية أرسلوا باليان بنفسه لطلب الأمان من صلاح الدين، فطلب لقاء صلاح الدين فلتقاه وطلب منه "فلم يجبه إلى ذلك واستعطفه فلم يعطف عليه واسترحمه فلم يرحمه"،[33] وقال لهم صلاح الدين "لا أَمن لكم ولا أمان وما هوانا إلا أن ندبم لكم الهوان. وغدا نملككم قسرا، ونوسعكم قتلا وأسرا. ونسفك من الرجال الدماء، ونسلط على الذرية والنساء السباء".[34] وكانت أعلام المسلمين قد رفعت على برج المدينة فكان صلاح الدين في موقف القوة في تفاوضه مع باليان، وذَكَرَّه كما تذكر

المصادر الصليبية بقسمه أن يأخذها بحد السيف فلم يجد باليان مخرج إلا بمحاولة يائسة بتهديد السلطان بأنه لن يأخذ المدينة إلا بعد القضاء على كل ما فيها، خصوصا بعد إنزال أعلام المسلمين من على البرج.[35]

وفي آخر جولة من مفاوضات التسليم حاول باليان ثني صلاح الدين عن أخذ المدينة بالسيف من خلال عرض كان صعبا تطبيقه خصوصا مع وجود عشرات الالاف من الصليبين في المدينة والالاف من الأسرى المسلمين. فقال للسلطان لما يأس من قبوله تسليم المدينة: "أيها السلطان أعلم أننا في هذه المدينة في خلق كثير لا يعلمهم إلا الله تعالى وإنما يفترون عن القتال رجاء الأمان ظنًا منهم أنك تجيبهم إليه كما أجبت غيرهم وهم يكرهون الموت ويرغبون في الحياة فإذا رأينا أن الموت لا بد منه، فوالله لنقتلن أبناءنا ونساءنا ونحرق أموالنا وأمتعتنا ولا نترككم تغنمون منها دينارًا واحدًا ولا درهمًا ولا تسبون وتأسرون رجلًا ولا امرأة وإذا فرغنا من ذلك أخربنا الصخرة والمسجد الأقصى وغيرهما من المواضع ثم نقتل من عندنا من أسارى المسلمين وهم خمسة آلاف أسير ولا نترك لنا دابة ولا حيوانًا إلا قتلناه ثم خرجنا إليكم كلنا فقاتلناكم قتال من يريد أن يحمي دمه ونفسه وحينئذ لا يقتل الرجل حتى يقتل أمثاله ونموت أعزاء أو نظفر كرامًا.." كما يروي ذلك ابن الأثير.[36] ويروي مثل ذلك العماد الأصبهاني بأن قال "إذا أيسنا من أمانكم؛ وخفنا من سلطانكم؛ وخبنا من إحسانكم؛ وأيقنا أنه لا نجاة ولا نجاح؛ ولا صلح ولا صلاح؛ ولا سلم ولا سلامة، ولا نعمة ولا كرامة، فإنا نستقتل فنقاتل قتال الدم؛ ونقابل الوجود بالعدم. ونقدم إقدام المستشري بالشر، ونقتحم اقتحام المستضري من الضر، ونلقي أنفسنا على النار، ولا نلقى بأيدينا إلى التهلكة والعار. ولا يجرح واحد منا حتى يجرح عشرة. ولا تضمنا يد الفتك حتى ترى أيدينا بالفتك منتشرة. وأنا نحرق الدور ونخرب القبة، ونترك عليكم في سبينا السبة. ونقلع الصخرة، ونوجدكم عليها الحسرة. ونقتل كل من عندنا من أسارى المسلمين وهم ألوف، وقد عرف أن كلا منا من الذل عزوف، وللعز ألوف. وأما الأموال فإنا نعطبها ولا نعطيها، وأما الذراري فإنا نسارع إلى إعدامها ولا نستبطيها. فأية فائدة لكم في هذا الشح، وكل خسر لكم في هذا الربح، ورب خيبة جاءت من رجاء النجح، ولا يصلح السوء سوى الصلح".[37] فبعد أن استكانوا وأخلدوا إلى طلب الأمان، استقرت القاعدة بالمراسلة بين الطائفتين، كما يذكر ابن شداد وتم تحديد شروط للتسليم.[38]

شروط التسليم

بعد أن استشار صلاح الدين أصحابه في الأمر كما يذكر عدد من المؤرخين ويسرد الواقعة العماد الأصبهاني بلغته البليغة قائلا: "فعقد السلطان محضرا للمشورة، وأحضر كبراء عساكره المنصورة. وشاورهم في الأمر، وحاورهم في السر والجهر، واستطلع خبايا ضمائرهم واستكشف خفايا سرائرهم. واستورى زندهم، واستعلم ما عندهم. وراوضهم على المصلحة المترجحة، وفاوضهم في المصالحة

المربحة... واستقر بعد مراودات ومعاودات؛ ومفاوضات وتفويضات؛ وضراعات من القوم وشفاعات؛ على قطيعة تكمل بها الغبطة، وتحصل منها الحوطة."[39] فيظهر أن الأمر قد تم بعد مشاورات بين صلاح الدين وقادته وأن القرار لم يكن سهلا، لكنهم أجمعوا على إجابة الصليبيين إلى الأمان لكن على أن لا يخرجوا منها إلا بشروط الفتح عنوة وكان التركيز على أمر استرقاقهم. بذلك لا يخرجوا إلا بعد فداء أنفسهم، فأشاروا على صلاح الدين قائلين له: "الصواب أن نحسبهم أسارانا فنبيعهم نفوسهم ونعمم بصغار الجزية رؤوسهم ويدخل في القطيعة مرؤوسهم ورئيسهم"،[40] و"نحسب أنهم أسارى بأيدينا، فنبيعهم نفوسهم بما يستقر بيننا وبينهم".[41] فأجاب حينئذٍ صلاح الدين إلى إعطائهم الأمان للصليبيين على أنفسهم بعد دفع الفدية المحددة خلال فترة محددة. وقد أجمع المؤرخون على أن يؤخذ من الرجل عشرة دنانير، والمرأة خمسة دنانير والطفل دينار (وبعضهم قال دينارين)، وتم تحديد فترة زمنية لذلك أربعين يومًا فمن دفع نجى من العبودية، ومن انقضت الأربعون يومًا عنه ولم يدفع ما اتفق عليه صار مملوكًا.[42] أما النصارى الشرقيين والذين لم يكونوا من الفرنج، أو كما سماهم ابن خلدون نصارى القدس الأقدمون، فقد أُعفي عدد كبير منهم من الفدية ودفعوا الجزية، وسمح لهم بالبقاء في المدينة المقدسة.[43]

وبعد أن استقر الأمر على تسليم المدينة بشروط الفتح عنوة بدأ الصليبيون بدفع قيمة الفدية والخروج بما يستطيعون حمله، ووضع بكل باب أمينا من الأمراء ووكل بحصر الخارجين وأخذ الفدية منهم، وخرج الالاف بطرق مختلفة.[44] ودفع باليان الفدية عن ثمانية عشر ألف من الفقراء (ثلاثين ألف دينار).[45] وخرجت زوجة الملك المأسور گي دي لوزينيان مع مالها وخدمها وعبيدها وجواريها. واستأذنت من السلطان صلاح الدين أن يجمعها بزوجها في سجنه في برج نابلس، فأذن لها.[46] وكذلك خرجت ملكة رومية متعبدة مترهبة مع مالها من ذهب ونفائسها خزائنها ومتاعها وعبيدها وجواريها، وكذلك فعل صلاح الدين مع إحدى الأميرات تدعى ام هنفري، زوجة أرناط صاحب الكرك –الذي قتله صلاح الدين في حطين–فاستشفعت في ولدها المأسور فأجابها صلاح الدين على أن تسلم مدينة الكرك.[47] وكذلك خرج البطرك الكبير، ومعه من أموال الكنائس منها: الصخرة والأقصى وقمامة وغيرها، ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وكان له من المال مثل ذلك. فقال العماد الأصفهاني وغيره للسلطان أن يأخذ ما معه من الأموال ليقوي به المسلمين، لكن صلاح الدين قال: لا أغدر به ولم يعترض طريقه، ولم يأخذ منه غير عشرة دنانير، وكان معه من أموال الكنائس ما يبلغ مائتي ألف دينار سيرها معه إلى صور.[48] وكان لهؤلاء الأمراء ورجال الدين افتداء من تبقى من النصارى حيث كان عددهم ستة عشر ألف شخص ما بين سبعة آلاف رجل وثمانية آلاف امرأة وصبي، فلم يفعلوا وأخذوا أسرى وعبيد بعد

انقضاء مهلة الأربعين يوما.[49] وهذا يؤكد أن الذين لم يفتدوا انفسهم بالمبلغ المحدد أصبحوا مملوكين للمسلمين، كما الحال لو فتحت المدينة عنوة. وقد سطرت بعض هذه الوقائع في كتب بشائر الفتح التي أرسل منها سبعين كتابا إلى حواضر الإسلام؛ منها الكتاب إلى ديوان الخلافة ببغداد، والذي ذُكر به أن الصليبيين "شرطوا حمل مال الفداء وما زالوا يبتهلون ويضرعون ويذلون ويخشعون حتى استقر الأمر أنهم يفادون... وذكرت في يوم خلاصها من رجب بليلة المعراج وتجلى إظلامها بإنارة سنا السراج وأعيدت الكنائس مدارس وأضحت بإحياء رميم التوحيد رسوم الكفر عافية دوارس".[50] فبعد أن أعيد للقدس طهره بدأ إعادة المدينة إلى سابق عهدها.

التغيرات بعد الفتح

بدأت التغيرات في المدينة مباشرة بعد أن استلمت من الصليبين في ذكرى الإسراء والمعراج، والذي ذكره المؤرخون بأنه توافق رباني لفتح الفتوح. فما أن ملك صلاح الدبن البلد بدأ بالمسجد الأقصى الذي استخدم الصليبيون أبنيته بين كنيسة وسكن ومخازن واسطبلات. وأما في بقية المدينة فقد حول الصليبيون عند احتلالهم المدينة كل أبنيتها إلى استخداماتهم، فحولوا بجانب المساجد العديد من المدارس إلى كنائس هذا بالإضافة إلى احتلالهم للبيوت والقلاع والقصور وغيرها.

المسجد الأقصى

أول ما بدأ به صلاح الدين كان أمره بإعادة أبنية المسجد الأقصى إلى حالها القديم وشمل الأمر كل من الجامع الأقصى وقبة الصخرة وبقية أنحاء المسجد. فأما الجامع الأقصى فقد كان الداوية (أو فرسان الهيكل) قد بنوا غربيه أبنية ليسكنوها، وعملوا فيها أبنية لتخزين الأطعمة وغير ذلك، وقد بنوا في وجه المحراب جدارا، وتركوه مخزنا وقيل مستراحا (مرحاضا) عنادا للإسلام وبغيا، حيث جعلوا محراب المسجد الأقصى مشغولا بالخنازير والخبث كما يذكر المؤرخون. وقد كانوا قد أدخلوا بعض الأقصى في أبنيتهم فأعيد إلى الأول، وأمر بتطهير المسجد والصخرة من الأقذار والأنجاس، ففعل ذلك أجمع.[51] حيث أمر صلاح الدين "بإزالة ما أحدثوه من البنيان، وكشف الجدار الساتر للمحراب، وتنظيفه وما حوله من الأقذار والنجاسات، ونصب المنبر لإقامة الخطبة الإسلامية".[52] وقد ذكر العماد الأصبهاني أنه تعاون المسلمون على الأمر "حتى ظهر موضع المنبر والمحراب واستظهروا بإزالة ما قدامه من الحجاب واجتمع الخلق في ذلك الأسبوع على تفريق ذلك الهدم المجموع وتعاونوا حتى كشفوه ونظفوه ورشوه وفرشوه. وكان قد أمر باتخاذ منبر في تلك الأيام فنجروه وركبوه".[53] فبالإضافة إلى هدم ما استحدثه الصليبيون قاموا ببناء منبر مؤقت إلى أن أُتي بمنبر نور الدين من حلب. وكذلك كان الصليبيون قد بنوا

في غربي القبلة في الجامع الأقصى "دارا وسيعة، وكنيسة رفيعة" فأمر صلاح الدين بـــ "هدم ما قدامه من الابنية، وتنظيف ما حوله من الأفنية. بحيث يجتمع الناس في الجمعة"،[54] "واخرب دار الداوية".[55] وتم هدم ما بنوه بين سواري الجامع، وتم نصب منبر بجانب المحراب المطهر وتم "بسط صحن الجامع بالبسط النفيسة بدل الحصر والبوارى، وتعليق القناديل وإقامة شعار الدين".[56] وبعد ذلك قام صلاح الدين بعمارة الجامع وأمر بترخيم محراب الاقصى وكتب عليها بالفصوص المذهبة نقشا تذكاريا،[57] ما زال ظاهرا إلى اليوم.

أما الصخرة المشرفة وقبتها فقد تم تطهير الصخرة وأزالة أضافه الفرنجة من رسومات وصلبان ومذابح وقد صلى بها صلاح الدين في جمعة الفتح. ولعقود طويلة منذ بداية الاحتلال الصليبي تم تحويلها لكنيسة عرفت باسم "معبد الرب" (Temple Domini) وجعلوا على صخرتها المشرفة مذبحا (altar) ورفع فوق القبة صليبا مذهبا. وبعد الفتح تم ازالة الصليب عن قبة الصخرة وذكر ذلك أغلب المؤرخين حيث ذكروا أن الأمر تم مباشرة بعد الفتح، فيذكر ابن الأثير "وكان على رأس قبة الصخرة صليب كبير مذهب. فلما دخل المسلمون البلد يوم الجمعة تسلق جماعة منهم إلى أعلى القبة ليقلعوا الصليب، فلما فعلوا وسقط صاح الناس كلهم صوتاً واحداً من البلد ومن ظاهره المسلمون والفرنج: أما المسلمون فكبروا فرحاً، وأما الفرنج فصاحوا تفجعاً وتوجعاً، فسمع الناس ضجة كادت الأرض أن تميد بهم لعظمها وشدتها".[58] أما عن داخل البناء فكما يذكر العماد أن الفرنجة قد أحدثوا بها أبنية زينوها بالصور والتماثيل وكسوها صورا "هي أشنع من التعرية وملأوها بتصانيف التصاوير ونبتوها في ترخيمها أشباه الخنازير"،[59] وذكر ابن الأثير أن الفرنج كانوا قد غطوا بالرخام الصخرة فغيبوها، وسبب ذلك أن القسيسين باعوا كثيرا من قطع الصخرة بوزنه ذهبا، فخاف بعض ملوكهم أن تزول فغطاها.[60] وأن السلطان أمر بإزالة كل ذلك و"كشف قناعها ورفع أوضاعها ومحو صورها"،[61] "ونقض أبنيتها ونقل حجرها وإبرازها للزائرين وإظهارها للناظرين".[62] كما وأدار على الصخرة شبابيك من حديد، بل وتم غسل الصخرة المشرفة بماء الورد مرارا وغسل جدران البناء ومن ثم تبخيره.[63] بل ويذكر الأنصاري بأن صلاح الدين غسل الصخرة بيديه؛ "ودخل السُلطان الصخرة وغسلها بالماورد وبلحيته وهو يبكي وَمَحى الصُور منها وكسر الصُلبان".[64] وما زال اسم صلاح الدين منقوشا داخل القبة كما في محراب الجامع الأقصى وغيرها من أبنية المسجد الأقصى.

هذا بالإضافة إلى تطهيره لقبة السلسة، وسط المسجد الأقصى بجانب قبة الصخرة، والتي كانت كنيسة أيضا، وكثير من قباب المسجد التي إما استخدمها الصليبيون أو هدموها فأعاد تجديدها كقبة المعراج، والقبة النحوية التي استحدثها الصليبيون. كما وكان لأمراء الأفرنج ومقدميهم مقابر مجاورة

للصخرة وعند باب الرحمة مقبرة وقباب أخرى فأزالها ومحا آثارها كما يذكر العماد الأصبهاني بأن المسلمين قاموا بإزالة آثارها تماما، حيث يذكر "وقلعنا صفايحها المخرمة وأعمدتها المرخمة وسوينا بها الأرض".[65]

الحصون والبيوت

شرع الصليبيون في إخلاء البيوت التي غنمها المسلمون، لكنهم بدأوا ببيع الأثاث والقوت خلال الفترة الممهلة لهم، فباعوها بأرخص الأثمان خصوصا ما تعذر نقله لثقله وصعب حمله، فاشتراه التجار من أهل العسكر، واشتراه النصارى من أهل بيت المقدس الذين ليسوا من الفرنج، والذين طلبوا من صلاح الدين البقاء في مساكنهم وقبولهم بدفع الجزية.[66] ويبدوا جليا أن المسلمين فرقوا بين الفرنجة المحتلين والنصارى من أهل البلد فكان التعامل معهم مختلفا. بل ويبدوا أن المسلمين تسامحوا مع الصليبين في مسألة بيع متاعهم من أجل دفع الفدية لأنها من حق المسلمين بما أنهم فتحوا المدينة عنوة، لكن كان شرط المسلمين حملهم ما يطيقون وإمهالهم اربعين يوما. بل وتسامح صلاح الدين مع البطرك الكبير والملكات والأميرات فحملوا كل ما شاءوا، و لم يمنعهم. وبقيت بيوتهم للمسلمين، والتي في الأصل اغتصبوها من اهلها عند احتلالها، فقام صلاح الدين بتحويل منزل البطرك إلى الخانقاة الصلاحية؛ "فجعل دار الاستبار مدرسة للشافعية، وهي في غاية ما يكون من الحسن"،[67] بل وجعلها رباط للفقراء وعين "لرباط دار البطرك وهي بقرب كنيسة قمامة وبعضها راكب على ظهر قمامة ووقف عليهما أوقافا حسنة".[68] وكذلك دار الاستبار بجوار البيمارستان الصلاحي، فهي قديمة من العهد البيزنطي تم تحويلها إلى زاوية الدركاة.[69] أما الحصن أو القلعة التي يقيم به الوالي والمعروف بحصن داوود، فقد قام صلاح الدين بجعله مسجدا سمي بـــ "محراب داود"، وجعل له إماما ومؤذنين فأحياه وجدده للزائرين. وكذلك أمر السلطان بعمارة جميع المساجد وصون المشاهد.[70]

كنائس النصارى

قام صلاح الدين بتحويل عدد من أبنية النصارى وكنائسهم إلى مستشفيات ومدارس، فقد حول كنيسة القديسة حنة للمدرسة الصلاحية. ويذكر أبو شامة المقدسي أن جلساء السلطان من العلماء الأبرار والأتقياء الأخيار فاوضوه "في مدرسة للفقهاء الشافعية ورباطا للصلحاء الصوفية فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بصند حنة عند باب أسباط"،[71] وأوقف عليها وقوفا جليلة بل وزاد عليها لاحقا في زيارة أخرى للمدينة.[72] ويذكر عدد من المؤرخين أن هذه الكنيسة كانت مدرسة قبل الاحتلال الصليبي، وكان يدرس بها العلم الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي قبيل أخذ الفرنج لبيت المقدس، وبذلك يكون قد أعادها صلاح الدين إلى أصلها.[73] ويذكر أن صلاح الدين اشتراها بماله الخاص من وكيل بيت المال (خزينة

الدولة)، لكونها تعود للدولة بعد الفتح. وقد ذكر ذلك مجير الدين العُليمي في ترجمة الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن خضر القرشي؛ "وكيل بيت المال بالقدس الشريف وهو الذي فوض إليه الملك صلاح الدين بيع الأملاك المختصة ببيت المال بالقدس الشريف، ثم اشترى منه كنيسة صندحنة، وهي المدرسة الصلاحية... وسطر ذلك في كتاب وقفه المؤرخ في ثالث عشر رجب سنة 583هـ".[74]

و لم تكن هذه الكنيسة الوحيدة التي حولها صلاح الدين فقد حول كنيسة قريبة من كنيسة القيامة إلى مستشفى، ويذكر أنها كانت موجودة من قبل الحروب الصليبية تم بنائها في الفترة الفاطمية ويقال قبل ذلك وتسمى بـــ (St. Mary of the Latins) في حارة الدباغة. ويذكر ابن شداد قصة تحويلها بأن السلطان "أمرني بالمقام في القدس الشريف لعمارة بيمارستان أنشأه فيه وإدارة المدرسة التي أنشأها فيه".[75] ويفصل ابن واصل أن أصلها كان كنيسة، حيث قال "وجعل الكنيسة التي في شارع قمامة بيمارستان للمرضى، ونقل إليه جميع ما يحتاج إليه" ويؤكد ذلك أبو شامة: "وعين الكنيسة التي في شارع قمامة للبيمارستان ونقل إليه العقاقير والأدوية من جميع الأنواع والألوان".[76] فتم تحويل الكنيسة بعد الفتح إلى مرفق عام يخدم ويداوي الجرحى والمرضى ويوزع الأدوية والعقاقير على الناس بلا مقابل، بل وكان يباشر العمل فيه يعقوب بن صقلان النصراني المشرقي المقدسي المولد، ويذكر ذلك القفطي بأنه "أقام يعقوب هذا بالقدس على حالته في مباشرة البيمارستان إلى أن ملكه الملك المعظم عيسى"، حيث نقله في خدمته إلى دمشق.[77] وكذلك كنيسة صهيون كان الملك العادل، أخو صلاح الدين، نازلا فيها عند محاصرة بيت المقدس وجنوده كانوا مخيمون على بابها.[78] وقد أدخل صلاح الدين الكنيسة داخل سور المدينة، حيث مد سورها لتشملها وذلك خلال الحرب الصليبية الثالثة.[79] وقد تم تحويل جزء منها إلى مسجد وإضافة محراب لها، يبدوا في وقت لاحق بعد صلاح الدين، مع السماح للنصارى بزيارة المكان حيث يعتقدون أن العشاء الأخير لعيسى عليه السلام كان به.[80]

أما أقدس كنائس النصارى، كنيسة القيامة (أو الأصح قُمامة بمعنى كنيسة السيد)،[81] والتي يعتقد النصارى أن المسيح دُفن فيها بعد صلبه ومنها كانت قيامته بعد ثلاث أيام، فقد أمر صلاح الدين بإغلاق أبواب الكنيسة بعد الفتح مباشرة إلى أن ينظر بحالها، وكان له أن يغير استخدامها إلى ما شاء وفق الفقه الإسلامي، حيث فتحت المدينة عنوة، فللإمام (السلطان) تحديد ما يحل بها. بل وقد غنم صلاح الدين فيما غَنِم من معركة حطين، الصليب الأعظم الذي يعتقد النصارى أن المسيح قد صلب عليه في مكان الكنيسة. وقد رأى من المصلحة إبقاءه، وكان جزء من المفاوضات بين صلاح الدين وريتشارد.[82] وقد كانت مسألة الكنيسة وهدمها مطروحًا من عدد من القادة والمستشارين، حيث كانوا يرون أنه بهدمها سينقطع ارتباط الفرنجة ببيت المقدس ولن يعودوا إليها إذا تم الأمر. وكان القسم الأكبر ضد هذه الفكرة

فلا يرون فائدة من ذلك الأمر. وقد فصل المسألة العماد الكاتب بأسلوبه السجعي قائلا: "وأمر بإغلاق أبواب كنيسة قمامة، وحرم على النصارى زيارتها ولا الإلمامة. وتفاوض الناس عنده فيها، فمنهم من أشار بهدم مبانيها. وتعفية آثارها، وتعمية نهج مزارها. وإزالة تماثيلها، وإزاحة أباطيلها، وإطفاء قناديلها، وإعفاء أناجيلها، وإذهاب تساويلها، وإكذاب أقاويلها. وقالوا إذا هدمت مبانيها؛ وألحقت بأسفلها أعاليها؛ ونبشت المقبرة وعفيت؛ واخمدت نيرانها وأطفيت؛ ومحيت رسومها ونفيت؛ وحرثت ارضها؛ ودمر طولها وعرضها؛ انقطعت عنها إمداد الزوار، وانحسمت عن قصدها مواد أطماع أهل النار. ومهما استمرت العمارة؛ استمرت الزيارة. وقال أكثر الناس لا فائدة في هدمها ولا هدها، ولا يؤذن بصد أبواب الزيارة عن الكفرة وسدها. فإن متعبدهم موضع الصليب والقبر لا ما يشاهد من البناء، ولا ينقطع عنها قصد أجناس النصرانية ولو نسفت أرضها في السماء؛ ولما فتح أمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه- القدس في صدر الإسلام أقرهم على هذا المكان، و لم يأمرهم بهدم البنيان".[83] ويبدوا أن السلطان آثر أن يأخذ بالرأي الثاني لما فيه أقل ضرر اقتداء بعمر بن الخطاب وبالعهدة العمرية، وكذلك ففي الأمر مصلحة للمسلمين فاذا هدمت الكنيسة كان الأمر سيؤجج الصليبين أكثر وربما استطاعوا احتلال بيت المقدس مرة أخرى، حيث أنه بعد الحملة الصليبية الثالثة وإتمام صلح الرملة، سمح صلاح الدين للفرنجة بزيارة الكنيسة بدون ضريبة يدفعونها، وكانت شرطا في الصلح.[84] وقد أشار عليه أغلب قادته بأن البناء ليس هو المقصد ولكن المكان هو مقصد النصارى، فعقيدتهم مرتبطة بالمكان حيث كان البناء لاحقا. وكما يذكر أبو شامة فقد "أعرض السلطان عن هدمها؛ ثم تقرر بعد ذلك على من يدخلها منهم قطيعة يؤديها"،[85] "واقر بايديهم بيعة قمامة وعينو[ا] اماكنا يزورونها".[86] وقد أعاد فتح الكنيسة بعد ثلاث أيام من الفتح، وسمح للنصارى بالعودة للصلاة فيها.

الخاتمة

ما أثارته في السنة الماضية مسألة إعادة آيا صوفيا إلى مسجد جامع، وإعادته إلى طبيعته التي كان عليها طيلة ما يقارب خمس قرون في مدينة تدين الغالبية العظمى من سكانها بالاسلام، تجاوز ذلك إلى اتهام السلطان محمد الفاتح بالعمل على نقيض ما فعله عمر بن الخطاب عندما فتح بيت المقدس، من تأمين النصارى على كنائسهم وحمايتها. لكن من الواضح أن وراء هذا اللبس خلط بين سياقان مختلفان؛ الأول مسألة حديثة نسبياً —حدثت في بداية الجمهورية التركية ومن ثم تم تصحيحها في العام المنصرم- ليس له علاقة بتحويل الكنيسة إلى مسجد بل اعادته من كونه متحف، والسياق الثاني هو الفتح الإسلامي لإسطنبول قبل ذلك بقرون عديدة تم الأمر به حسب قواعد الشريعة الإسلامية. ويَنمّ هذا الأمر عن جهل في تاريخ المسلمين وطريقة تعاملهم مع المدن التي فتحوها. فقد وضع الإسلام في القرن السابع

الميلادي أُسس لمنظومة متكاملة للتعامل مع فتوح البلاد، بما فيها كيفية التعامل مع البلاد التي فتحت صلحا أو عنوة. وقد قسم الفقهاء فتوح البلدان إلى ثلاثة أقسام: البلاد التي أسلم أهلها، والبلاد التي فتحت صلحا والبلاد التي فتحت عنوة. وكانت هذه التقسيمات لها تبعات في كيفية التعامل مع تلك البلدان وما بها من ممتلكات. فَفَتحُ عمر بن الخطاب لبيت المقدس كان صلحا لذا بقيت المدينة بكنائسها لم تمس و لم تهدم. وقبل الفتح الثاني لبيت المقدس على يد صلاح الدين احتلها الصليبيون ما يقارب التسعون سنة، قاموا بتغيرات ديموغرافية هائلة، وحولوا جميع مساجدها إلى كنائس واستخدموها ايضا كسكنات واسطبلات وثكنات ومخازن وغير ذلك. وكما تبين معنا في هدا البحث فقد كان صلاح الدين مصمماً على فتحها صلحا لإدراكه معنى ذلك الأمر، وعرض الصلح على أهلها مرات عدة فرفضوا فأقسم أن لا يأخذها إلا عنوة. وبذلك كان الفتح الثاني لبيت المقدس عنوة، فكان على أهلها دفع فدية محددة لإنقاذ أنفسهم من الرق، ولذلك، جاز لصلاح الدين أن يحول ما شاء من كنائسها إلى مدارس ومستشفيات وغير ذلك، ككنيسة القديسة حنة وكنيستان بالقرب من كنيسة القيامة. وكذلك أعاد المسجد الأقصى والذي استخدم أجزاء منه ككنائس إلى سابق عهده كمسجد، ولكنه مع هذا لم يهدم كنيسة القيامة و لم يحول استخدامها وذلك للمصلحة العامة التي ارتأها السلطان بعد مشاورته لأهل العلم والعسكر. ومن هذه الدراسة يبدوا جليا الفرق في التعامل بين المدن التي فتحت صلحا والتي فتحت عنوة. وأن التي تفتح عنوة يحق للإمام أن يغير ما يشاء بها حسب المصلحة وأن يقسمها كما يشاء، وبذلك عمل السلطان صلاح الدين الأيوبي في فتح بيت المقدس وكذلك السلطان محمد الفاتح عند فتح القسطنطينة. ومن هذا يتضح أن المسلمين لم يكونوا يعملون في هذه المسائل حسب أهوائهم بل بناء على منظومة واضحة، اساسها نصوص شرعية، وعلى المسلمين اليوم أخذ الدروس والعبر من هذه الحوادث كي تكون لهم مرجعية وأسس واضحة عند التعامل مع قضايا مشابهة في مستقبلهم القريب.

الهوامش

[1] يوسف القرضاوي، ***فقه الجهاد: دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة***. القاهرة، مكتبة وهبة، 2009، ج1، ص54-55، 241.

[2] القرضاوي، *فقه الجهاد*، ج1، ص331-335.

[3] القرضاوي، *فقه الجهاد*، ج1، ص725-750.

[4] القرضاوي، *فقه الجهاد*، ج1، ص749-750.

[5] للمزيد انظر خطة رسول الله لفتح بيت المقدس في: عبد الفتاح العويسي (المقدسي)، **نظريات ونماذج بيت المقدس**، اسطنبول: دار الأصول العلمية، 2019، ص229-259.

[6] محمد بن حرير الطبري، **تاريخ الطبري**: تاريخ الرسل والملوك، بيروت: دار التراث، 1387هـ، ج3، ص 520.

[7] أحمد بن يحيى البلاذري، **فتوح البلدان**، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1988، ص 216؛ ابن حجر العسقلاني، **كتاب الدراية في تخريج أحاديث الهداية**، بيروت: دار المعرفة، د.ت.، ج 2، ص130.

[8] أبو عبيد القاسم بن سلام، **كتاب الأموال**، بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ، ص 360.

[9] أبو عبيد، كتاب الأموال، ص 69.

[10] أبو عبيد، كتاب الأموال، ص 356.

[11] أبو عبيد، كتاب الأموال، ص 615.

[12] أبو عبيد، كتاب الأموال، ص 615.

[13] أبو عبيد، كتاب الأموال، ص 189.

[14] أبو عبيد، كتاب الأموال، ص 69.

[15] أبو عبيد، كتاب الأموال، ص 70-71.

[16] Walmsley, Alan (2007) *Early Islamic Syria: An Archaeological Assessment*, London: Gerald Duckworth, pp.21.-22.

[17] أبو عبيد، كتاب الأموال، ص 200-203.

[18] هيثم الرطروط، 2004: 209-239، انظر ايضا عبد الفتاح العويسي 2019: 280.

[19] أنس زاهر المصري، **أثر التكامل السياسي والمعرفي في فتح بيت المقدس**، مجلة دراسات بيت المقدس، العدد 14، صيف 2014، ص 47-69؛ محمد علي بيود، **الكتابة في فضائل بيت المقدس ودورها في الحركة المعرفية وصناعة الوعي في مواجهة الحروب الصليبية**، مجلة دراسات بيت المقدس، العدد 1/16، صيف 2016، ص 1-17.

[20] Abu Munshar, Maher (2007). *Islamic Jerusalem and its Christians: A History of Tolerance and Tensions*, London: I.B.Tauris, pp. 147-149. See also, Abu-Munshar, Maher (2019). Islamicjerusalem in the Eyes of Salah Al-Din: A Critical Analytical Study of the Libation of the City from the Crusaders. *Journal of Islamicjerusalem Studies*, vol.19 (1), pp.65-80.

[21] شهاب الدين عبد الرحمن أبو شامة، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997، ج3، ص 328-329.

[22] أبو شامة، الروضتين، ج3، ص 323.

[23] عِمَاد الدِّين الكاتب الأصبهاني، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، القاهرة: دار المنار، 2004، ص 65؛ أبو شامة، الروضتين، ج3، ص 326؛ عز الدين ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، بيروت: دار الكتاب العربي، 1997، ج10، ص32-33.

[24] ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج10، ص33.

[25] أبو شامة، الروضتين، ج3، ص 328-329.

[26] محمد بن ابراهيم بن محمد بن أبي الفوارس عبد العزيز الأنصاري الخزرجي، **تاريخ دولة الأكراد والاتراك**، اسطنبول: آزاد للنشر، 2015، ص18.

[27] Lane-Poole, Stanley (1906). *Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem*, London: G.P. Putnam's Sons, pp. 223-225.

[28] الأصبهاني، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، ص 67-71.

29 Runciman, Steven (1952). *A History of the Crusades: The Kingdom of Jerusalem and the Frankish East (1100 - 1187).* Cambridge: Cambridge University Press, vol. 2, p. 463.

30 Abu-Munshar, Maher (2019). Islamicjerusalem in the Eyes of Salah Al-Din: A Critical Analytical Study of the Libation of the City from the Crusaders. *Journal of Islamicjerusalem Studies*, vol.19 (1), pp.65-80.

31 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص35. وهذا اشارة إلى المجازر التي قام بها الصليبيون عند احتلال بيت المقدس سنة 1099م. للمزيد ممكن مراجعة:

Abu-Munshar, Maher (2018). The Fate of Jerusalemites at the Hands of the First Crusade. *Journal of Al-Tamaddun*, v. 13, n. 1, p. 27-35.

32 أبو شامة، الروضتين، ج3، ص 340.

33 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص35.

34 الأصبهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص 71.

35 Lane-Poole, 1906, *Saladin*, pp. 228.

36 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص35.

37 الأصبهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص 71.

38 بهاء الدين بن شداد، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1994، ص 135.

39 الأصبهاني، الفتح القسي، ص 71–72.

40 أبو شامة، الروضتين، ج3، ص 341.

41 محمّد بن سالم ابن واصل، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية –المطبعة الأميرية، 1957، ج 2، ص 214؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص35.

42 أبو شامة، الروضتين، ج3، ص 341؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج 2، ص 214؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص35؛ الأصبهاني، الفتح القسي، ص 72؛ الأنصاري، تاريخ دولة الأكراد، ص19.

43 أبو شامة، الروضتين، ج3، ص 402؛ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، بيروت: دار الفكر، ج5، ص 362.

44 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص36؛ الأصبهاني، الفتح القسي، ص 72. ويذكر ابن الأثير والكاتب الأصبهاني وغيرهم من المؤرخون أن عدد من الأمراء استعملوا الخيانة، و لم يؤدوا فيه أمانة، واقتسموا الأموال فيما بينهم و لم يصل إلى خزينة الدولة إلا القليل، ولو أديت فيه الأمانة لملأ الخزائن.

45 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص36؛ الأصبهاني، الفتح القسي، ص 72.

46 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص36؛ الأصبهاني، الفتح القسي، ص 72؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج 2، ص 216؛ أبو شامة، الروضتين، ج3، ص 343.

47 أبو شامة، الروضتين، ج3، ص 343–344؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج 2، ص 216؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص36–37؛ الأصبهاني، الفتح القسي، ص 72–73. وتذكر الروايات أن أم هنفري سارت إلى الكرك، فلم يسمع منها الفرنج الذين فيه، و لم يسلموه، فلم يطلق ولدها، لكنه أطلق مالها ومن يتبعها.

48 الأصبهاني، الفتح القسي، ص 72–73، 75؛ أبو شامة، الروضتين، ج3، ص 343–344؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج 2، ص 216؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص36–37؛ وتذكر الروايات أن أم هنفري سارت إلى الكرك، فلم يسمع منها الفرنج الذين فيه، و لم يسلموه، فلم يطلق ولدها، لكنه أطلق مالها ومن يتبعها.

49 ابن واصل، مفرج الكروب، ج 2، ص 216؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص37؛ الأصبهاني، الفتح القسي، ص 76.

50 أبو شامة، الروضتين، ج3، ص 348.

51 الأصبهاني، الفتح القسي، ص 76؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص37؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج 2، ص 217؛ أبو شامة، الروضتين، ج3، ص 376–377.

52 ابن واصل، مفرج الكروب، ج 2، ص 217؛

53 الفتح بن علي البنداري، **سنا البرق الشامي**: اختصار من كتاب البرق الشامي للعماد الكاتب الأصفهاني، تحقيق فتحية النبراوي، القاهرة: ممتبة الخانجي، 1979، ص 314–315؛ أبو شامة، الروضتين، ج3، ص 381–382.

54 الأصبهاني، الفتح القسي، ص 76–77.

55 الأنصاري، تاريخ دولة الأكراد، ص19.

56 ابن واصل، مفرج الكروب، ج 2، ص 217؛

57 مجير الدين العُليمي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، تحقيق عدنان أبو تبانة، عمان: مكتبة دنديس، 1999، ج1، ص484.

58 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص37؛ الأصبهاني، الفتح القسي، ص 72.

59 البنداري، سنا البرق الشامي، ص 315.

60 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص38؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج 2، ص 229.

61 البنداري، سنا البرق الشامي، ص 315.

62 أبو شامة، الروضتين، ج3، ص 397.

63 الأصبهاني، الفتح القسي، ص 80؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج 2، ص 229–230؛ أبو شامة، الروضتين، ج3، ص 399.

64 الأنصاري، تاريخ دولة الأكراد، ص19.

65 البنداري، سنا البرق الشامي، ص 317؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج 2، ص 230.

66 البنداري، سنا البرق الشامي، ص 319؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص38.

67 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص39؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج 2، ص 229.

68 العُليمي، الأنس الجليل، ج1، ص 341.

69 العُليمي، الأنس الجليل، ج2، ص 98–99.

70 الأصبهاني، الفتح القسي، ص 81؛ أبو شامة، الروضتين، ج3، ص 400؛ العُليمي، الأنس الجليل، ج1، ص 340.

71 الأصبهاني، الفتح القسي، ص 82؛ أبو شامة، الروضتين، ج3، ص 400؛ العُليمي، الأنس الجليل، ج1، ص 340.

72 ابن واصل، مفرج الكروب، ج 2، ص 230، 407.

73 ابن واصل، مفرج الكروب، ج 2، ص 407. وقد كانت قبل الفتح العمري كنيسة وهي من العصر البيزنطي ويقال إنه تم حرقها خلال الاحتلال الفارسي سنة 614 أو هدمها خلال الفترة الفاطمية، وخلال زيارة ابن العربي لبيت المقدس كانت مدرسة في البناء المحاذي لها في العهد الأرتقي، وهو الذي حوله الصليبيون لكنيسة وصلاح الدين لمدرسة، وما زالت آثار الكنيسة البيزنطية موجودة بجانب ذاك البناء. وما زال هناك نقش يشير إلى وقفية المدرسة في زمن صلاح الدين سنة 588هـ، للمزيد حول المدرسة الصلاحية راجع؛ يوسف النتشه، كنيسة القديسة آن (المدرسة الصلاحية)، القدس، 2004.

74 العُليمي، الأنس الجليل، ج2، ص 238؛ انظر أيضا: رويدة فضل أحمد، **المدرسة الصلاحية في القدس** (588–1336هـ/1192–1918م)، عمان: دار المأمون، 2017، ص 42.

75 ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 354.

76 أبو شامة، الروضتين، ج4، ص 332؛ شهاب الدين النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 2008، ج28، ص437.

77 جمال الدين القفطي، **كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، بيروت: دار الكتب العلمية، 2005، ص 281.

78 الأصبهاني، الفتح القسي، ص 81؛ أبو شامة، الروضتين، ج3، ص 400؛ العُليمي، الأنس الجليل، ج1، ص 340.

79 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص112؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5، ص383.

80 يوسف النتشة، "مقام النبي داود" ضمن إكتشف الفن الإسلامي. متحف بلا حدود، 2020. المصدر:
http://islamicart.museumwnf.org/database_item.php?id=monument;isl;pa;mon01;35;ar

81 زكريا محمد، **أصل التسمية لكنيسة القيامة**، حوليات القدس، العدد الثالث عشر، صيف 2012، ص 58–60.

82 Abu-Munshar, Maher (2005). The Position of Islamicjerusalem in the Negotiations between Sultan Salah al-Din and King Richard I "the Lion-Heart". *Journal of Islamicjerusalem Studies*, vol.6 (1), 89-90.

83 الأصبهاني، الفتح القسي، ص 82؛ أبو شامة، الروضتين، ج3، ص 402.

84 ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 326–328.

85 أبو شامة، الروضتين، ج1، ص 273.

86 الأنصاري، تاريخ دولة الأكراد، ص19.